

حديث التقريب.. السيد مصطفى جمال الدين يخاطب الأمة الإسلامية



"مصطفى جمال الدين" الأديب والشاعر والباحث العراقي، توفي في منفاه يوم 23/10/1986 وهذه أيام ذكرى ارتحاله؛ له قصيدة يخاطب بها الأمة بمقاطعها المختلفة وبأبياتها التي تزيد على الثمانين، وهذه القصيدة تشكل المنظومة الشعورية لأتباع آل البيت (ع) في العراق، وتعبّر عن توجه الشيعة عامة والنجف بشكل خاص إلى «الرسالية» ورفضهم للطائفية.

أُنشد هذه القصيدة بمناسبة الانتفاضة الشعبانية في العراق وما تعرض له الشعب العراقي من انتقام نظام صدام البائد.

مطلع القصيدة فيه دعوة إلى عودة إشعاع النبوة في دم الأمة، وبهذا الإشعاع ستعود إلى غدها.. أي إلى استئناف مسيرتها الحضارية التي تتناسب مع الغد، أي مع الحاضر والمستقبل :-
عُودي لأمسك منك الغد / ما شعّ في دمك النبيّ محمد

وبنظرة حضارية يرى أن الثقافة الإسلامية فيها كل العناصر التي تضخّ دمًا جديدًا في عروق الأمة متى

ما اعتراها خريف، فيعود عودها أملدًا (غضًا)، ذلك لأن جذورها ممتدة إلى أعماق السنين، ورؤيتها نحو النجوم (أي نحو السماء ونحو الكمال المطلقة)؛ فالقرآن والسنة فيهما من عناصر الإحياء ما يعيد إلى الوجوه نضارتها وإلى العقول نورها، وإلى القلوب توددها وحبها وعواطفها.

وكما أن الإسلام حوّل صمّ الجنادل السود (كناية عن القلوب غير المهتدية) إلى مقصد الكواكب المضيئة، وكما حوّل ضحايا الجاهلية إلى حرم (طاقات ضخمة) وليلهم البهيم إلى فرقد (مضيء)، كذلك يستطيع اليوم أن يحيي هذه الأمة. يقول :-

يا أمة يبسَ الزمانُ، وعودُها / ريّانُ من نبعِ النبوةِ أملدُ
تَسري بأعماقِ السنينِ جذورُها / وتشدُّ أذرعهُ النجومُ فيصعدُ
ما ارتاعَ من عسفِ المَحولِ ولا انثنى / بيدِ العواصفِ فرعُها المتأوّدُ
ومذِ اشتكت تلكَ الجنائنُ حولُها / ممّا يعيثُ بها الخريفُ الأجرَدُ
ألقى رواءَ الهدى بين غصونها / فأفاقَ حتى الهامدُ المتقصّدُ
وسرت بها بعدَ الذبولِ غصارةُ الـ / قرآنِ، تُخصبُ روحَها، وتورّدُ وتطلّعتُ فإذا بسُنّةٍ
أحمدٍ / سحبٌ يفيضُ بها النعيمُ ويرفُدُ
وإذا النبوةُ في الوجوه نضارةُ / والعقلِ نور.. والقلوبِ تودّدُ
وإذا بصرعى الجاهليةِ في الوغدِ / حُمَمٌ.. وفي ليلِ المتيهَةِ فرقد
وإذا بـ مَكّةَ وهـ ي صمّ جنادلٍ / سـودٍ، لمؤتلقِ
الكواكبِ مقصدُ

والمقطع الآخر من القصيدة يبدأه بقوله: عُددي لدربك لا يصدّك أنسه / عَسِرٌ.. ودربُ الآخرين مُعبّد

وفيه يمارس الشاعر، الضرب على وتر الشعور والهمم لإيقاظها، فالمجدُّ مقرون بالتضحية والفكر يحتاج إلى عزيمة لا ترف، وإلى حرارة لا برودة جليد.

ولابدّ أن تستند هذه العودة إلى أصالة، فطّرقُ باب الآخرين لاستجداء الدواء منهم لا فائدة منه، والجديد يجب أن يُبنى على القديم، ووهجُ الحضارة سيكون أبتَر إذا لم يقم على أرض صلبة وفي قمة منيفة يقول :-

وبأنّ أمسك، من متاعبِ شوطِها / هَرَمٌ.. ويومك، من صقال، أمرَدُ
فالمجدُّ لا ترقى إليه أمّةٌ / لم يُبْنَ فيها بالضحايا مِصعدُ

وفي المقطع التالي يركز على قدرة القرآن الإحيائية للأمة؛ فهو عامل طراوتها وخشوعها وفتوحها ومعارفها، وتأثيره بالغ حتى في القلوب المتحجرة، والشعر على قدرة تأثيره لا يبلغ ما بلغه من التأثير، ويعتبر على الأمة أنها أدراك طهرها للقرآن، وأنها حولته إلى وسيلة تبرُّك، وإلى تردها الشفاء. بينما ينبغي أن يكون وهجاً ينير درب الهداية يقول :-

يا أُمَّةَ الْقُرْآنِ لِمَ يَذْبُلُ عِلْدُ/شَفَتِيكَ هَذَا اللَّوْلُؤُ الْمَتَوْفِدُ
تندى به، خَضَلَ البَيَان، تلاوةٌ/وينثَّه، عَطَرَ الخشوع، تهجَّد
وتشَبَّ فيه بالفتوح سريَّةٌ/ويضجُّ منه بالمعارف مسجد
ويكاد حتى الصخر لو رنَّت به/آياتُهُ، يصغي لها، ويردِّد
هدرت به لغةٌ، كأن حروفها/من طيب ما حَمَلَتْ، شذى متجسِّد
تتساءلُ الكلماتُ، وهي تُقْلِلُهُ: /من أين هذا الفارسُ المتفرِّدُ؟!
للشعر نسبُهُ؟ ونعرف أنَّهُ/بَوَّحُ الحياة، وزهوها المتمرِّد
لكنَّهُ مهما استطال يظلُّ في/حَمَرٍ، أمام شموخه يتنهَّد
يا أُمَّةَ الْقُرْآنِ أَمْسُكْ مُخَصِبُ/بَوَْرِيفٍ ما أعطى ويومك أريدُ
ما بالُكِ استدبرتهِ وتركتِـه/يختالُ بين بنيه وهو مصفِّدُ
يُلْقِيهِ فِي حَلَكَ الْقُلُوبِ تَبْرُكُ/ويذيبُهُ بين الشفاء تَعَوِّدُ
ويكاد يستجدي الهــــدى من فتيــــةٍ/ لــــولا توهــــجُ نورهِ

لــــم يهتدوا

المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية/
الشؤون الدولية

[اضغط هنا](#) لمشاهدة فلم القصيدة التي القاها السيد مصطفى جمال الدين في المؤتمر الدولي الخامس

للوحدة الاسلامية عام 1992 م